قصة قصيرة :

موجة برد

زهور وفيس

عندما وقف أمام المرآة ليصلح من وضع ربطة عنقه . كان ظهر زوجته الثانية يملأ فراغ المرآة . حتى ليكاد يسد عليه صورة معظم الاثاث في الغرفة .

ـ أيهما أغلى ؟ امرأته أم الاثاث ؟ الاثاث كلفه كثيرا .

ـ انه من أهم الاحلام التي حققتها رغم انها لم تتولد لديّ الا أخيرا .. أخيرا ... على كل . فقد حققتها ؛ حققت أحلاما كثيرة ...

ـ ولكنها لم تكن أبدا قديمة في نفسه ، أولها ذكريات طفولية ، وهذا ما يبعث على الفخر .

ـ لقد حققت أكثر مما كنت أتصور ... لم تكن أحلاما مجذرة في ذاكرتي . أعترف انها أشياء جديدة.. جديدة عليّ جدا . ولكن لا أحد ينكر انها جميلة جدا كذلك ... ولن أنسى من ساعدني على تحقيقها ... بعض الاصدقاء في الحقيقة كاملو الاخلاص ... أنا أيضا قدمت لهم مساعدات ... واحدة بواحدة . لا أحد له دين على الآخر .. الحياة أخذ وعطاء ...

أيهما أغلى ؟ سؤال لم يخطر على باله من قبل .. ولكنه هذه المرة ؛ يأخذ أكبر مساحة في ذهنه ؛ وهو يستعد لوضع آخر الرتوش على هندامه .

انه مدير ؛ ومسؤوليته تقتضي هذا وأكثر . وكل ما يحيط به ويدور حوله .. في الحقيقة هو من متطلبات العمل .. والمسؤولية .

كانت امرأته تتحرك اتجاهه ، وهي تجر ذيل ثوبها الوردي الشفاف المنور ... تعلقت به أمام احدى واجهات لندن ؛ وهما يقضيان بعض أيام الراحة خلال الشهر... كان حلما من أحلامها أن تشتري قماشا ثمن المتر منه يكفي لكسوة أسرة كاملة ... مثل أسرتها هي تماما ... لا داعي لذكر الماضي .

كانت مختالة معجبة بنفسها ؛ تملأ وجهها الجميل ابتسامة عريضة . فيها من الكلفة ما في ابتسامات الممثلات المبتدئات في السينما الرخيصة ... وقبل أن تضع يديها على كتفيه . استدار بخفة في حركة صبيانية مراهقة ... ثم قبّل جيدها العاري في دلال ؛ مشيرا الى الساعة التي في معصمه ؛ ومعقبا بابتسامة حالمة . وهو يضع سبابته على أرنبة أنفها مداعبا :

ـ اجتماع كبير يا عزيزتي ينتظرني ... ومع الوزير ...

بعض أنواع العطور يجعل من الرجل الذميم رجلا جميلا مهذبا (جنتلمان) .

هذا ما تبادر الى ذهن زوجته الثانية . وهو ينسلّ خارجا متفحصا حذاءه الاسود . ثم بنظرة شاملة . اطمأن تماما الى انه على ما يرام .. انها متطلبات الشغل ... والمسؤولية .

ملأ غليونه وهو يستريح مغتبطا في المقعد الامامي للسيارة ، رادا على تحية الصباح التي ألقاها السائق . أشعل عود كبريت بعد آخر ؛ وكأنه يتلذذ برؤية الشعلة الصغيرة . وهي تعجز المرة تلو المرة عن الوصول الى التبغ الذي حشا به الغليون المصدف بعناية ودقة . وأخيرا تنفس أول نفس ؛ لتعبق رائحة التبغ الغالي في أرجاء السيارة :

ـ انها ماركة "مبسادور من هولندا ...

ثم استدار فجأة للسائق الذي لم يكن قد فتح فمه ، كان يبدو لاهيا بالسياقة .

ان السائق لم يسأل عن ماركة التبغ . لعلني تصورت ذلك . وابتسم ابتسامة جمعت الرضا بالتوجس :

ـ أيكون قد فقد الثبات ، وأصبح يحدث نفسه كال .... ؟

وصل الى مقر ادارته . نزل من السيارة كأحسن ما يكون مدير مسؤول ... اعتدل في وقفته قبل أن يأمر السائق بالانتظار . خطا خطوات جادة تحمل الكثير ؛ الكثير من المعاني . كانت خطوات مدير . يعتز كثيرا انه مدير ... ويفهم كلمة مدير فهما خاصا جدا وغامضا جدا ...

شق صوت حذائه أروقة الادارة ، وهو يتحسس بعينيه كل باب من الابواب . تهيأ له لمدة انها ستفتح ، ويشير له أصحابها بالتحية ... الابواب ظلت مغلقة ...

ـ ماذا حصل ؟ حتى الحاجب غير موجود ...

تساءل وهو يدفع باب مكتبه ؛ ويتجه رأسا الى حيث الجرس :

دقة .. لا مجيب ، دقتان .. لا مجيب ، ثلاث... ما هذا ؟ هل مات الحجاب جميعا ؟

ولم يغضب ، بل شعر بوحشة وغربة للحظات قصيرة . وقف منتفضا كمن يهرب من هواجس غير مريحة . أطل من نافذة مكتبه ، نظر الى الشارع . الناس كما هي . تسير ، تتحدث ، تتشاجر وتضحك أيضا .

أخيرا بدأت الابتسامة تعرف طريقها الى وجوه الناس . تحدث في الهاتف :

ـ أنا المدير .. ابعث لي الجريدة .. أنني لا أجد أحدا ولا أجد حتى صحف الصباح على مكتبي ...

ـ صباح الخير الاخ المدير .. الجرائد نفدت من السوق .

ـ نفدت ؟ غريبة .. هل عندك جريدة أنت ؟

ـ كلا ، أنت تعرف انني لا أقرأ ...

أغلق الخط وهو يردد :

ـ الاخ المدير ... رجعوا لكلمة الاخ ... ذكرني العامل بأيام مضت لم يكن الحظ حليفي فيها أبدا ...

ها هي صورة زوجته الاولى تهجم عليه .

هي قديمة وكل ما يحيط بها قديم ... حتى الاثاث ...

قال ذلك ، في نفسه ، وهو يحاول ابعاد الصورة التي اقتحمت ذهنه دون رغبة منه . تفرض نفسها فرضا طفيليا ، تترك خطوطا سوداء في نفسه لا يستطيع التعبير عنها أبدا ...

دق الجرس مرة أخرى . انفتح الباب عن الحاجب . قال بغضب :

ـ ألم تسمع ؟ منذ ساعة وانا أبحث عن أحدكم !

ـ لم أسمع .. جئت مباشرة من قاعة الاجتماعات لاخبرك ...

ـ قاعة الاجتماعات ؟..

لم يترك الحاجب يتم عبارته . تحرك في عجلة ، لبس سترته . هجم على الحاجب يبعده عن طريقه ، اتجه الى قاعة الاجتماعات .

ها هو الوزير حضر حتى هنا . وأنا غائب ! ماذا سيكون جوابي ؟.. ورؤساء الاقسام هم الذين استقبلوه . هكذا اذن . هذا ما تمناه أغلبهم دائما . ازاحتي من الطريق ـ حتى يخلو لهم الجو . وها قد خلا لهم مرة واحدة ...

كان ذهنه يغلي بالكثير من التأويلات والاستنتاجات .. وذكاؤه يعمل بسرعة غريبة تتوقف عليها كل مصالحه وامتيازاته . كم استعمل ذكاءه قبل اليوم . كان يقول لصديقه العامل بالجمارك :

ـ كلانا يريد أن يثري بسرعة . ولكني أشطر منك ..

ويؤمن صديقه على كلماته بابتسامة مترددة وكأن خيوطا خفية تتحكم فيها .. لا يدري لها مصدرا ..

أصلح مرة اخرى من هندامه ، قبل أن يلمس قبضة باب القاعة . قاعة الاجتماعات . وسرعان ما انفلت داخلها ليجد أمامه حشدا كبيرا من العمال .. عمال الشركة يحتلون الكراسي .

ـ أين الوزير ؟.. أم انني لا أرى . ومن ذاك الذي يلوح بيديه ؟ والكل اليه منصت ؟.. كأنني لم أدخل . لم يعرني أحدهم أي اهتمام .

قال كل ذلك دون أن يفتح شفتيه ... تحرك دون شعور منه الى الامام . وجد أحد الكراسي شاغرا .. أراح جسمه عليه .. كان في حاجة ماسة الى هذه الراحة القصيرة الزمن ...

نفسه تحدثه : « بئيس جدا هذا اليوم .. كما يبدو من الساعات الاولى للصباح . على أي وجه شؤوم صبحت اليوم ؟ زوجتي ؟ كلا . انها الجديدة . والثانية، والملائمة لرجل مثلي مسؤول . لا شك انها دعوات شر جاءت من الاخرى . هي ، هي الحاقدة والذميمة والقديمة أيضا » .

شيئا فشيئا ، بدأ يحدق حوله . الكل لاه عنه ، باحاديث بعضها فيه حماس ...

« ما باله يشد عروقه هذا الذي يجلس قبالتي ؟ وكأنه وزير .. أو كأنه لم ينطق منذ أعوام ؟.. لم أكن أعلم أبدا انه يحسن الكلام ، هذا البسيط الساذج .. كنت أتصوره جبانا .. معقدا .. ويعطي الامر بالكلام أيضا ... لعله يحسب نفسه رئيسا ، فخار يكسر بعضه .. فلأتركهم يتجادلون .. وما دخلي أنا ، ولماذا جلست معهم . في الحقيقة هناك رؤساء الاقسام . وهذا الذي يعطي الامر بالكلام لا يزال يحسب نفسه رئيسا » .

ـ رئيس مجلس العمال ... لجنة البلدية ... الميثاق... المناقشة ... الاثراء ... مكاسب الثورة... الاستفتاء ...

الاستفتاء على ماذا ؟

بعض هذه الكلمات كان يسمعها ، ولكنه لم يكن يتصور انه يصبر على سماعها طيلة هذه المدة ...

ربع ساعة يمضي . والكل عنه لاه . وهذا بجانبه ينفخ نفسه ، ويعتز بشواربه ولباسه الازرق ، وكأنه لا يزال يمارس عمليات الفداء في حي القصبة أو بلكور.

« أهو الذي ينتفخ .. أم إنا الذي أنكمش ؟ » .

لم يكن يدري . ولكنه كان يجد نفسه تتقلص حتى أصبحت في حجم قطة متداخلة في بعضها خوفا من موجة برد طارئة ...

لماذا وضع نفسه هذا الموضع ؟ ولماذا لم يبق في مكتبه بعيدا عن جميع هؤلاء الناس ؟

قام الجميع يغادرون القاعة ، دون أن يشعر . نظر حواليه . ليجد الفراغ . سحب من الدخان لا تزال تتخبط في فضاء الغرفة ، لا تجد لنفسها منفذا . زجاج النوافذ قد فقد لمعانه وانعكاساته نتيجة ضباب الانفاس المكثفة . بقيت أذناه تجتران رنة التصفيقة الاخيره التي انتهى اثرها الاجتماع ، وكأنها رنة ناقوس كنيسة تعلن عن وفاة ...

جرجر نفسه خارج الغرفة ... ثم خارج الشركة . السيارة كما تركها . والسائق واحترامه وصمته ...

« لكم يخيفني هذا الصمت ، وهذا الاحترام .. وهذه الحدود المضبوطة بيني وبين هذا السائق . أكاد أجزم انه شخص آخر مثل رئيس مجلس العمال » .

اعترضت سيارته حافلة محشوة بالناس من كل سن ... توقفت سيارته حتى تتحرك الحافلة ... ابتعدت الحافلة بالعيون الكثيرة عنه .. شعر بشيء من الارتياح .. وصل الى بيته .

كانت رائحة المأكولات قد قفزت من النوافذ لتصدم أنفه ، قبل أن يدخل البيت . دخل البيت . اختلطت رائحة المأكولات المتنوعة ، بعطر زوجته ... كاد يفقد توازنه ... أصابته شبه اغماءة ، تبعث على القيء ... تصور كل قطع الاثاث الثمينة المستوردة تجثم على صدره ، تضغط وتضغط . استمر الضغط والشعور بالقيء ، وزوجته تضع شفتيها على قفاه الاحمر ... وشعره المصفف . قفز واقفا دون شعور منه . حدق فيها . غريبة هذه المراة !.. تتصرف تصرفات مقززة ..

ولى هاربا .. الى الشارع .

كانت هي .. والاثاث المستورد .. وثوبها الوردي الشفاف .. وبدلته .. ليست منه . انه يذكر جيدا انها لم تولد معه ، ولا في شبابه . لقد ولدت أخيرا .. أخيرا ، جديدة جدا هي وغريبة أيضا .

كان الشارع طويلا ... وخطواته تحاول أن تكسب توازنا ، كانت قد فقدته ، وقطرات مطر تحاول أن تغسل شيئا ما في نفسه .

بوجهك ترسمين الدرب

مسعود حديبو

بوجهك المجروح
بوجهك المترهل الصبوح
ترسمين في الافق الازرق شارات حب
وتنثرين الورود في أكف المتعبين
الزاحفين الى حقول المستحيل
يا امراة أحبها
أعبدها حتى النخاع
يا مطرا يغسل وجه الكلمات
كي يعيد لي زمن الهوى
والركض في ساح التوهج المبلل بالحياة
يا طفلة عشق الفراش ظلها في الزمن المخصي
بوجهك المجروح
بوجهك المترهل الصبوح
تطبعين على جبين الشمس قبلة الالق
وتصرخين :
لنفتح القلوب للذين اقبلوا يطالبون بالشفق
فكيف لا أصير في أسر هواك ؟
طيرا يغرد الصباح والمساء
يقتلع الدموع من محاجر الصغار
ويسكب الضياء
كي يزيل رائحة الغبش
ويسقط العطش
بك يا طفلة الاحلام
تحلم الجياد والقصائد والشفاه
وتنبض القلوب بالحياه
بوجهك الطري تفتحين لي الدروب
وتسكبين النور في القلوب
بوجهك المجروح
بوجهك المترهل الصبوح
ترسمين في الافق الازرق شارات حب

الفل (الجزائر)